الفصل الثانى

أساليب التربية الاسلامية

● **تقدمة :**

قلنا انها القدوة ، والحوار ، والقصة والموعظة والحكمة والحدث وقد يحدث غيرنا غير ذلك ..

والقدوة تتقدم كل الأساليب ، انها تؤدى الى التربية عمليا .

والحوار يخاطب الاقناع أو العقل .

والموعظة والحكمة تجمع بين خطاب القلب وخطاب العقل معا .

والقصة تخاطب العاطفة والمشاعر وتستجيش فى الانسان كثيرا من الأشجان .

والحدث يهز ويربى من خلال الهزة العنيفة التى يحدثها داخل لانسان ، ذلك ما تلمسه باذن الله بشىء من التفصيل ...

١ ـ أما القدوة :

فانها أسلوب عملى تماما ينبع من فطرة الناس فى المحاكاة والتقليد ، واذ كانت النفس مفطورة كذلك على التقوى والفجور ، فان القدوة الحسنة تؤثر ميلا الى التقوى ، ميلا الى السمو والارتفاع . مهما كانت التضحيات .

ولقد كان رسول الله ﷺ كذلك ، وكانت صحابته ، وكان التابعون ، ومن بعدهم بقيت القدوة فى الطائفة المختارة فى هذه الأمة لتكون عصمة لها من الزيغ والزلل وقد تقدم الحديث عن ذلك .

وبقى رسول الله ﷺ قدوة لنا . رغم انتقاله الى الرفيق الأعلى ، بما نعلم من سيرته العطرة التى حفظها الله سبحانه كما حفظ سنته استكمالا لحفظ الوحى الكريم : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » (١)

ونحن مطالبون فى مجال القدوة أن نقدم دائما النموذج العملى خاصة ممن يدعى الدعوة أو يزعم التربية والا صح فينا قول الله سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** » (٢) .

وفى مكان آخر تحدثنا عن القوة باعتبارها مكملة للقدوة ... لكننا نحسبها جزءا منها ، فالقدوة الصالحة فيها عنصر القوة التى تحدثنا عنها : قوة العقيدة ، قوة الخلق ، قوة الساعد .

والمثل الذى ضربناه من سيرة رسول الله ﷺ لما صرع أحد الكفار فكان ذلك سببا لدخوله الاسلام ، هذا المثل جزء من سيرة رسول الله ﷺ التى لا تزال تمثل القدوة والأسوة برغم انتقاله – ﷺ – الى الرفيق الأعلى ..

---

(١) الحجر : ٩ (٢) الصف : ٢ ، ٣

٢ ـ الحوار :

جاء الحديث عن الحوار فى القرآن : مرة بلفظ الجدال ، ومرة بلفظ التحاج أو المحاجة ، وثالثة بلفظ المراء .

والأصل فى الجدال والمحاجة أو المراء أنه مذموم ومحظور ، لوروده فى أكثر الآيات وصفا للكفار أو للذين لا يتقبلون أوامر الله .

لكن القرآن أباح لونا من الحوار وصفه مرة بأنه « أحسن » وأخرى بأنه « عن علم » وثالثة بأنه « ظاهر » .

أما الاولى ـ فقوله تعالى : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن** » (٣) .

« **وجادلهم بالتى هى أحسن** » (٤) .

وأما الثانية ـ فقوله تعالى : « **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** » (٥) فقد أنكر الثانية لكنه لم ينكر الأولى .

وأما الثالثة ـ فقوله تعالى : « **فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا** » (٦)

وذلت نماذج القرآن فى حوار الكفار سواء بطريق مباشر

---

(٣) العنكبوت : ٤٦ (٤) النحل : ١٢٥ .
(٥) آل عمران : ٦٦ . (٦) الكهف : ٢٢ .

أو بلسان الأنبياء دلت على جواز لون من الحوار هو الذى سبق لنا وصفه ٠

والحديث عن الحوار يطول وله مكان آخر (٧) ٠

لكننا فى مجال التربية قد نحتاج للحوار للاقناع بالاستجابة ، ولنتم تزكية العقل مع تزكية القلب وليكون الأمر الثالث « تعلم الكتاب والحكمة » ٠

واستعمال الحوار فى مجال التربية ينبغى أن يكون بقدر حتى لا يؤدى الى النفور ٠

والافحام الذى هو فى مجال الجدال أو المناظرة ليس هدفا فى مجال التربية لكن الاقناع أو الاقتناع قد يكون هدفا ، وقد يكون الحوار أحد الأساليب المؤدية اليه ٠

وفى أمثلة الحوار فى القرآن ، وفى السنة ، وفى السيرة ، وفى مجال تاريخ السلف الصالح ما قد يكون نورا ٠ على هذا السبيل والله المستعان (٨) ٠

---

(٧) عالجناه فى علم مستقل « أصول الحوار والمناظرة » ، وفى بحث أساليب الدعوة ٠ كتاب « مناهج الدعوة وأساليبها » تحت الطبع ٠

(٨) راجع ذلك فى المرجعين السابقين ، وننذب الى معرفة حوار ابن عباس مع الخوارج حوار أبى حازم مع سليمان بن عبد الملك ٠

٣ ـ الحكمة والموعظة الحسنة :

تقدم الحديث عن الحكمة كأساس عملى للتربية ٠

والآن نتحدث عنها كأسلوب من أساليب التربية ٠ وفى مكان آخر تحدثنا بشىء من التفصيل عن الأمرين (٩) ٠

وفضلنا أن تكون الموعظة الحسنة هى حكمة القول ، وأن تكون الحكمة أشمل من ذلك لتشمل حكمة السلوك وحكمة الموقف ٠

أما حكمة السلوك فقدمنا لها من سورة الاسراء اثنى عشر أمرا ونهيا تنتهى بقوله تعالى : « **ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ٠٠٠** » (١٠) ٠

ومن سورة لقمان تسع وصايا تقدمها قول الله : « **ولقد آتينا لقمان الحكمة** » (١١) ٠

وأما حكمة المواقف ، أو مواقف الحكمة ، فقد أشرنا الى موقف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه وخطابه له ، وموقفه من الكفار والأصنام ، وموقفه من النمرود ، وموقفه من الكواكب ٠٠ ثم نقلنا الى خاتم الأنبياء ﷺ لنشير الى موقف الصبر والحكمة فى « مكة » ، وموقف الجهاد فى « المدينة المنورة » والى موقف السماحة والعفو حين دخل منتصرا الى « مكة » ٠

---

(٩) مناهج الدعوة وأساليبها ٠٠

(١٠) الاسراء : ٣٩ ٠ (١١) لقمان : ١٢

ومن تاريخ الصحابة والتابعيين أشرنا الى مواقف لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى فيها من الحكمة الكثير ٠

وبرغم أننا جعلنا الموعظة الحسنة من حكمة القول ، فاننا نشير الى ما فى الموعظة من نصح وتذكير يرقق القلب ٠ والقرآن ملىء بأنواع المواعظ الحسنة ٠

فمنها ما هو تخويف وتحذير كخطاب نوح وهود وصالح لقومه فى سورة هود ٠

ومنها ما يرقق القلب تذكيرا بالآخرة وتذكيرا بما يؤدى اليها من موت ونشور ومن غير ذلك ٠ والله أعلم ٠٠

٤ ـ القصة :

وقد سبق الحديث عنها عندما قدمنا نماذج من سورة يوسف عليه السلام وقد تكررت القصة فى القرآن الكريم وهى بالدرجة الأولى للتربية وأثرها أبعد من أساليب أخرى وهى كما تستهوى الصغار تستهوى كذلك الكبار حتى عد علماء الخطابة من بين وسائل التأثير ودفع الملل استعمال القصة : « **ويضرب الله الأمثال** » (١٢) ٠

٥ ـ الحـــديث :

وقد تقدم الحديث عنه ٠ والحدث بلا شك له أثره فيمن لا يذاكر

---

(١٢) ابراهيم : ٢٥ ، والنور : ٣٥ ٠

بالوسائل السابقة والمهم فى المربى أن يحسن استخدام الحدث للتربية ، ليتلافى الآثار السلبية التى يمكن أن يتركها ..

فمثلا يمكن اذا وقعت هزيمة بجيش أو أمة أن يوجهه أو يوجهها قادتها ، الى أن ذلك كان نتيجة البعد عن الله ، ثم الاقلال من الاعداد، وأن يوجهونهم الى حسن الصلة بالله ثم الى حسن اتخاذ الاسباب **« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ، قل هو من عند انفسكم ، ان الله على كل شىء قدير • وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين • وليعلم الذين نافقوا ...»** (١٣)

« ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (١٤) •

والنماذج كثيرة فى كتاب الله ، وفى تاريخ الأمة الاسلامية •

* * *

(١٣) آل عمران : ١٦٥ ـ ١٦٧ •
(١٤) التوبة : ٢٥ •

خاتمة

● حاولنا أن نرسم خيوط أو خطوط نظرية اسلامية للتربية ٠ فعرفنا أن الاستجابة لله وللرسول خطها الأول ٠

وأن التزكية للعقيدة والأخلاق والتعبد والمعاملة خطها الثانى ٠

وأن تعلم الكتاب والحكمة ٠ خطها الثالث ٠

وعرفنا من قبل أنا نخاطب بهذا قومنا المسلمين ، وانهم ـ وان قصروا ـ قد ثبت لهم الاسلام بشهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأن ما يقع فيه البعض ـ عن اخلاص فى أكثر الأحيان ـ من وصف لمجتمعاتنا بالكفر أو الجاهلية انما هى أوصاف بعيدة عن التكييف الشرعى الدقيق ، فضلا عما فيها من مجافاة لأسلوب الدعوة وأسلوب التربية ٠

ثم عرضنا لوسائل التربية الصحيحة وأساليبها السليمة ٠

* * *

● ولقد نعلم من ذلك أن التربية الاسلامية اذ تستمد من الكتاب والسنة ، واذ تهدف الى رضا الله سبحانه ٠٠فهى تربية ربانية ٠٠ومن هنا تستمد نورها ، وتستمد فضلها على غيرها من ألوان التربية ٠

ـ بيد أنهـا مع ربانيتها ٠٠ واقعية ٠٠ اذ تتنزل الى أرض

الواقع فتدرس حالة الأفراد والشعوب ، وتختار لهـا من الوسائل والأساليب ما يناسبها ، بيد أنها تحاول من خلال ذلك أن ترتفع بها الى المثال ٠

– وهى كما يظهر متوازنة ، ترعى الضرورات والحاجات بينما تسمو الى الأشواق ، فتدرك حقيقة الانسـان أنه قبضة من طين ونفخة من روح ، فتصل الأرض بالسماء ، وتربط الدنيا بالآخرة ٠٠ دون ما افراط ولا تفريط ٠

– وهى فردية جماعية ٠٠ ترعى الفرد كلبنة ، لكنها تجعله جزءا من جسد تسرى فيه روح الاسلام ، وتجمعه مصلحة هذا الدين ٠

– ويظهر شمول الاسلام فى مجال التربية ٠٠ سواء فى شمولها للانسان ٠٠ قلبه وعقله وجسده أو فى شمولها للعقيدة والأخـلاق والتعبد والمعاملات ، وفى النهاية شمولها للفرد والأسرة والمجتمع !

* * *

● أما أهداف التربية الاسلامية ٠

فيظهر بادىء ذى بدء أنها تكوين ٠٠ الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والمجتمع المسلم ، بلوغا لهدف الاسلام من اقامة دولته ، وجعل أمته شاهدة على العالمين ٠٠ بيد أن هدفا أسمى يسبق ذلك ويتلو ذلك ٠٠ هو الله ٠٠ الله غايتنا ٠٠ فى كل عمل ، وفى كل منهج ،

وفى كل حال ٠٠ نتعبده بخطرة الفكر ، ونبضة القلب ، وحركة البنان **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ٠ لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »** (١) ٠

* * *

تلك كلماتنا عن التربية ٠٠

نسأل الله أن نكون قد وفقنا فيها ٠٠ كما نسأله أن ينفع الله بها أمتنا فى مرحلة التكوين التى تمر بها بلوغا الى التمكين بمشيئة الله (٢) ٠

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ٠

* * *

---

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) راجع « دعوة الله بين التكوين والتمكين » للمؤلف ٠